وابتهل أن يرد إليه ما نسخ من صدره فبينما هو يصلي مبتهلا إلى ا D نزل نور من ا تعالى فدخل جوفه فعاد الذي كان ذهب من جوفه من التوراة فأذن في قومه فقال : يا قوم قد آتاني ا تعالى التوراة وردها إلي فطفق يعلمهم فمكثوا ما شاء ا تعالى أن يمكثوا وهو يعلمهم ثم إن التابوت نزل عليهم بعد ذهابه منهم فعرضوا ما كان فيه على الذي كان عزير يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا : وا ما اؤتي عزير هذا إلا لأنه ابن ا سبحانه وقال الكلبي في سبب ذلك : إن بختنصر غزا بيت المقدس وظهر على بني إسرائيل وقتل من قرأ التوراة وكان عزير إذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث ا تعالى عزيرا ليجدد لهم التوراة وليكون آية لهم بعد ما أماته ا تعالى مائة سنة فأتاه ملك بإناء فيه ماء فشرب منه فمثلت له التوراة في صدره فلما أتاهم قال : أنا عزير فكذبوه وقالوا : إن كنت كما تزعم فأمل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره فقال رجل منهم : إن أبي حدثني عن جدي أنه وضعت التوراة في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى أخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا : إن ا تعالى لم يقذف التوراة في قلب عزير إلا لأنه ابنه تعالى ا عن ذلك علوا كبيرا وروي غير ذلك ومرجع الروايات إلى أن السبب حفظه عليه السلام للتوراة وقيل : قائل ذلك جماعة من يهود المدينة منهم سلام بن مشكم ونعمان بن أبي أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضي ا تعالى عنهما أنهم أتوا رسول ا صلى ا تعالى عليه وسلم فقالوا : كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن ا وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج أن قائل ذلك فنحاص بن عازوراء وهو على ما جاء في بعض الروايات القائل : إن ا فقير ونحن أغنياء .

وبالجملة إن هذا القول كان شائعا فيهم ولا عبرة بانكارهم له أصلا ولا بقول بعضهم : إن الواقع قولنا عزير أبان ا أي أوضح أحكامه وبين دينه أو نحو ذلك بعد أن أخبر ا سبحانه وتعالى بما أخبر وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب وسهل عزير بالتنوين والباقون بتركه أما التنوين فعلى انه اسم عربي مخبر عنه بابن وقال أبو عبيدة : إنه أعجمي لكنه صرف لخفته بالتصغير كنوح ولوط وإلى هذا ذهب الصغاني .

وهو مصغر عزار تصغير ترخيم والقول بأنه أعجمي جاء على هيئة المصغر وليس به فيه نظر وأما حذف التنوين فقيل لالتقاء الساكنين فإن نون التنوين ساكنة والباء في ابن ساكنة أيضا فالتقى الساكنان فحذفت النون له كما يحذف حروف العلة لذلك وهو مبني على تشبيه

النون بحرف اللين وإلا فكان القياس تحريكها وهو مبتدأ وابن خبره أيضا ولذا رسم في جميع المصاحف بالألف وقيل : لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقيل : لأن الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا وتعقب بأنه تمحل عنه مندوحة ورده الشيخ في دلائل الإعجاز بأن الاسم إذا وصف بصفة ثم أخبر عنه فمن كذبه انصرف تكذيبه إلى الخبر وصار ذلك الوصف مسلما فلو كان المقصود بالإنكار قولهم عزير ابن ا معبودنا لتوجه الإنكار إلى كونه معبودا لهم وحصل تسليم ابنا سبحانه وذلك كفر واعترض عليه الإمام قائلا : إن قوله يتوجه الإنكار إلى الخبر مسلم لكن قوله : يكون ذلك تسليما للوصف ممنوع لأنه لا يلزم من كونه مكذبا لذلك الخبر كونه مصدقا لذلك